مكانة الصحابة رضي الله عنهم

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

ملتزم الطبع والنشر
المجمع الإسلامي العلمي (الهند)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٤٥هـ – سبتمبر ٢٠٢٣م

اسم الكتاب	:	مكانة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء الكتاب والسنة
اسم المؤلف	:	**السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي**
عدد الصفحات	:	٤٠
سعر النسخة	:	30/-
الناشر	:	**المجمع الإسلامي العلمي (الهند)**
العنوان	:	**ندوة العلماء، لكناؤ**
الهاتف	:	+91-522-2741539

Email: info@airp.org.in
airpnadwa@gmail.com

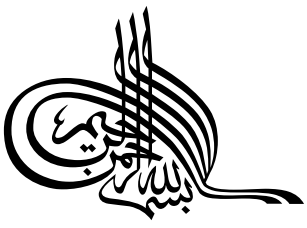
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم: العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء سابقا، لكناؤ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وطبيعته في الإسلام أثرّت في الناس تأثيراً، لم يكن عند الأنبياء الماضين، لأن في الفطرة الإنسانية درجات متفاوتة للأنس وعدمه، فإن الإنسان يشعر بعض الأحيان بالأنس، وبعض الأحيان بعدم الأنس، وله أسباب ودواع، تؤثر بأثرها، فإن الأب يأنس بالابن، رغم أن وجهه يماثل وجه ابنه الآخر، لكن يعرض عنه نظراً إلى وجهه بعض الأحيان، وتارةً يكون هذا الأمر أشد وأعمق، كذلك شأن المحب والمحبوب، تظهر أحوال الأنس وعدم الأنس عند الزيارة ولقاء بعضهم بعضاً، هذه سنة الله في الأرض، فلم يجعلها الله عبثاً وبدون هدف، فإن في كل شيئ حكمة، فكذلك في الأنس حكمة، وضع الله لها أسباباً فطريةً وغير فطرية، يمرّ بها كل فرد، فيأنس برجل حيناً كما يشعر منه بكراهية في الطبيعة حيناً آخر،

وقد أُودعت في فطرة الإنسان رقة ولطافة، ووُضعت فيها خواص غريبة، وجُعل كل رجل مختلفاً عن الآخر، لو لم يكن ذلك ما كان هناك فرق بين عين وعين، وبين بصمة وأخرى، فإن أشعة العيون وبصمات الأصابع تدل على فصل كل شخص عن الآخر، وله مزايا وخواص، يتأثر بها كل من ينظر إليها.

فقد كان لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرق تأثير بالغ، بحيث إذا رآه أحد فداه بنفسه وروحه، وانقلب حاله، قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب
كأنك قد خُلقت كما تشاء

١. سئل الصحابي خبيب بن عدي وهو يصلب: أتحب أن يكون محمد مكانك وأنت ناج؟ قال: والله ما أحب أن أكون آمناً وادعاً في أهلي وولدي، وأن محمداً يوخز بشوكة.....، فكل من زار محمداً صلى الله عليه وسلم أو لقيه بلغ إلى آخر درجة من الحب والهيام، وملكته حالة العشق، واستولت عليه آخر حالة من الفداء، وكل ذلك كان بتأثير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه الجميل.

٢. أخذ أعرابي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد أن يقتله، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من

يمنعك مني؟ قال صلى الله عليه وسلم: الله، فسقط السيف من يده وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفح عنه وخلى سبيله.

٣. قصة إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه مشهورة جداً، خرج من بيته وهو يحمل سيفه، سمع في الطريق أن أخته وزوجها أسلمتا، فرجع إلى بيتهما، وسمع أول سورة طه من القرآن الكريم فانقلب حاله، ثم قصد النبي صلى الله عليه وسلم، ولما وصل إليه خشي الصحابة من قدوم عمر الجريئ الباسل، سأله النبي صلى الله عليه وسلم: ما الذي جاء بك يا عمر! قال: كنت قد جئت لأمر آخر، لكن أريد الآن أن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤. وقصة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو يقول: "ما كان أحد أبغض إلى نفسي من محمد، لكن حينما أسلمت فصار أحب الخلق إلى نفسي".

٥. وقصة السيدة هند أم معاوية رضي الله عنهما ذكرها أصحاب السير والتراجم، وورد ذكرها في صحيح البخاري: أنها بايعت، وقالت له: يا رسول الله! ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك (كتاب المناقب،

صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٦١٣)، وقصص إسلام أبي محذورة وفضالة بن عبيد والصحابة الآخرين تدل على هذا الأمر دلالة واضحة.

فأهل البيت الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم داخل البيت وخارجه، كم كانوا معجبين به؟ فهؤلاء اجتمعت لهم علاقة ثنائية: شرف الصحابية ونسبة البيت، فشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلا الموضعين، إن سيدنا علي بن أبي طالب قد نشأ تحت حضانته، وأصبح صهراً له، وحينما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم المؤاخاة في المدينة آخى مع علي بن أبي طالب، وكان محباً لديه، كذلك شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت علاقته مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وطيدة، فصحب النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وانسجمت طبيعته مع طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان سيدنا عمر قد أكرمه الله بخصائص يتميز بها عن غيره، فلم يقع سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في شك نحو تعيينه للخلافة، رغم أن أبا بكر رضي الله عنه كان رحيماً، وكان عمر رضي الله عنه شديداً في شئون الدين، أما سيدنا عثمان رضي الله عنه فقد ملكه الحياء، فيستحيي منه الملائكة، وقصة فدائه وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم مشهورة، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة من المدينة المنورة، فأقيمت سدود في طريقهم نحو مكة في الحديبية، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان رضي الله

عنه للقضاء في هذا الأمر، فذهب إلى مكة، لكنه لم يطف الكعبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نُهي عنه، ولأنه قد أرسل لأمر آخر، فلم يرض أن يطوف، فبويع في الحديبية بيعة الرضوان، في ظهر الغيب لسيدنا عثمان رضي الله عنه، هذه ميزة تختص بسيدنا عثمان رضي الله عنه.

وقد نال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه منذ أول يومه صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتشرف بخدمته، كما كان نائباً عنه في بعض مناسباته، ويتصف بالعلم الغزير والحكمة البالغة. وردت فضائل هؤلاء الأربعة في حديث، قال صلى الله عليه وسلم: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأحياهم عثمان، وأقضاهم علي. (روي عن أنس، أخرجه الترمذي)، أضف إلى ذلك أن صلى الله عليه وسلم ترك عنده الأمانات وقت الهجرة، وظل مثابراً أمام الأعداء، وردّ الودائع إلى أهلها، وقد وكل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية في غزوة خيبر، وقال: " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه ". وفي عام ٩ من الهجرة حينما أرسل أبا بكر أميراً للحج أتبع سيدنا علي بن أبي طالب بإعلانات وتوجيهات للمشركين، ومن قبل في غزوة بدر رشح النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علي بن أبي طالب لمقاومة الأعداء ومجازفة الأخطار، رغم أنه كان أحبَّ إليه، فهزم سيدنا علي بن أبي طالب الأعداء شر هزيمة.

كانت الأوضاع في جزيرة العرب أشد خطورة إلى صلح

الحديبية، فإن صلح الحديبية وإن كان صلحاً مهيناً في الظاهر، لكنه كان صلحاً مبيناً، وقد سمّاه القرآن الكريم فتحاً مبيناً، قال تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً (الفتح: ١)، وامتد الصلح إلى سنتين أو سنة ونصف سنة، فقد آمن فيها عدد كبير لم يؤمن في السنوات الماضية، ودخل في الإسلام أبطال ومغاوير خدموا الإسلام خدمةً مثاليةً، لا يوجد لها نظير، كفانا ذكر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، اللذين أبليا بلاءً حسناً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده.

شهد كفار مكة خلال إملاء بنود صلح الحديبية منظراً لا يوافق العقل الإنساني، وهو دليل على حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له، وفدائهم له، فإنهم قالوا لأصحابهم: " والله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده "، هذا وأمثاله من الأحوال تدل دلالةً واضحةً على أن من انضم إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انقلب حاله، وصار عاشقاً هيمانا له، ويتقدم عامة الناس بدرجات في الحب من المحبوب.

الواقع أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد اختارهم الله تعالى لنشر دين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه إلى الناس كافةً بكل صدق وأمانة، فمن انتخبه الله تعالى لحمل رسالته جعله أفضل خلق، ولما قدّر الله تعالى أن يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وَكَلَ إليه مسئولية ختم النبوة وجعل سيرته وأمانته

أيضاً مثاليتين. لكن الرجال الذين لم يدخلوا في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يستعملهم في طاعته، فعُرفوا بين الناس بالكافرين والمنافقين، أو الأعراب البدو، أما الذين أسلموا في فتح مكة بضغط ظاهر، فقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطى من العطايا الكبار، وخصهم بنفسه، وأعلن لهم إعلاناً عاماً للعفو والصفح، بحيث انقلبت حالة الحرب إلى حالة سلم وأمن، وأخوة ومودة، واحتال صلى الله عليه وسلم في العفو، وعفا عن الأعداء الألداء الذين يواجهون الإسلام دائماً، فأسلم عدد كبير منهم وتشرف بنعمة الصحبة النبوية، قال أنصاري وهو يحمل لواء: اليوم يوم الملحمة، فأخذ منه اللواء وأعطى ابنه قيس بن سعد بن عبادة، وقال: اليوم يوم المرحمة.

ثم تلافى هؤلاء ما فاتهم من جهاد وخدمة للدين الحنيف، وقدموا تضحيات جبارةً لابتغاء وجه الله تعالى، وقام بعض منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمساع مشكورة سُجلت بمداد من نور، أمثال عكرمة بن أبي جهل ووحشي بن حرب رضي الله عنهما، كان وحشي بن حرب يستحيي من المثول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، فيذكره النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون سبباً لضياع إيمانه، كذلك كانت عداوة أبي جهل، فكان ولده عكرمة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل وحشياً وعكرمة كليهما، وقال: هذا أمر الله، من شاء هداه ومن شاء رفع درجته. وزاد

صلى الله عليه وسلم من مكانة هؤلاء الصحابة بأحاديثه: لا تسبّوا أصحابي (البخاري: ٣٣٩٧، ومسلم: ٤٦١١، عن أبي سعيد الخدري) " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي (رواه أحمد والترمذي). وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم بكلمة: والذين معه، أو ما يمثله من الكلمات.

وقد نهي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الهجرة أولاً، ثم أمر بأن يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولما أوى إلى غار ثور وهو على أعلى مكان من الجبل، خارج مكة المكرمة في المرحلة الابتدائية لرحلة الهجرة، ووصل إليه الأعداء، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أرجلهم، وخاف شيئا على نفسه وعلى محمد صلى الله عليه وسلم، سكّنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبَّر عنه القرآن الكريم بكلمة " صاحبه ": إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا.

حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: لاَ تَحْزَنْ، إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا، وقدمه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام حياته للإمامة بكل تأكيد، واعتبره سيدنا علي بن أبي طالب دليلاً على خلافته، وكان يقول: إذا فوّضت إليه الإمامة في الصلاة، وهي أهم الأمور الدينية، فهو أحق بالإمامة في الشئون الدنيوية، فقبلناه فرحين مسرورين.

ولما أثار المنافقون شبهات حول ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، وأبدى عفتها

وطهارتها، واعتبرتها وجميع الأزواج المطهرات " أمهات المؤمنين " وقال: ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (الأحزاب: ٦). وذكر في موضع آخر خصائصهن وصفاتهن قائلاً: إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (الأحزاب: ٣٣)، مع ما أشار إليه من مكانتهن وعلو شأنهن، قد ضم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته الحبيبة وابن عمه علياً وابنيه الحسن والحسين (رضي الله عنهم) إلى هذه الخصائص، وقال عنهم كلمات وأحاديث تبين مكانتهم وحبهم وفداءهم له، وهي مسجلة معلومة في الحديث النبوي والسيرة الطيبة.

ومن مزايا الصحابة الكرام البارزة أنه كلما نزل حكم من أحكام الله تعالى عملوا به، وإذا صدر منهم خطأ لم يطمئنوا حتى يتوبوا إلى الله تعالى، فلم يمدحهم الله تعالى عفواً، بل قال عنهم بكل تفصيل: مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (الفتح: ٢٩).

هذه هي المكانة الرفيعة للصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذكر القرآن الكرام بجانب هؤلاء الصحابة المخلصين أولئك الذين يعدون أنفسهم في الصحابة، لكن سلوكياتهم كانت تختلف عن

سيرة الصحابة رضي الله عنهم، وردت عنهم كلمات: المنافقون أو الخادعون. فكان يعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم معاملةً حسنةً، وكان هذا التعامل إلى آخر مداه، لكن نزلت عنهم هذه الآية: سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ (المنافقون: ٦)، وعاش هذا الصنف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان بهؤلاء المنافقين، وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما وزعت المسئوليات، سأله عمر رضي الله عنه هل تقلد أحداً منهم المسئولية؟ فأخبره بدون ذكر اسمه، فتفرس سيدنا عمر رضي الله عنه وعزله عن وظيفته، أما اختلاف الصحابة رضي الله عنهم فتتفرع منه مسائل وأحكام فقهية كثيرة.

وإن الإسلام الذي هو دين الإنسانية جمعاء وهو دين خالد إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: لا نبي بعدي (سنن الترمذي) وقوله تعالى: وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧) وقوله تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ (الأحزاب: ٤٠) وفُوضت إلى الصحابة رضي الله عنه مسئولية دعوته، صار الإسلام ديناً كاملاً، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فاشتغل الصحابة رضي الله عنهم بتبليغ رسالته وتطبيق دينه وشريعته، فكانت بعثته بعثةً مقرونةً، بعثت معه أمة بكاملها لأداء مهمته، قال تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (آل عمران: ١١٠).

أما التفاوت في مراتب الصحابة ودرجاتهم فهو بتضحياتهم وتقدمهم في الإسلام وزيادتهم في الإيمان والإيثار والأخلاق والأعمال – ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ – فلا يبلغ ولي أو عابد أو مجاهد أو تقي أو عبقري أو تابعي درجةَ صحابي، ولو رأى النبي صلى الله عليه وسلم لحظةً بإيمانه ومات عليه. حتى لا يمكن أن نوازن بينه وبين رجل وجد عصره صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يره، فالغيب عند الله تعالى.

وليعلم أن هؤلاء الصحابة لو آمنوا جميعاً في مناسبة، أو مروا بحالة واحدة أو لم تصدر منهم أخطاء لعارض هذا الأمر القرآن والشريعة الإسلامية، حتى الارتداد ثم الدخول في الإسلام أو إجراء الحدود والتعزيرات عليهم، كل ذلك له مصلحة دينية، فإن هؤلاء كانوا مقبولين عند الله تعالى أو على أعلى درجة من الآخرين. والصحابة الذين ملكوا نظام الحكم نفذوا شريعة الله تعالى في شئونهم، ورغم ذلك كله كانوا خائفين، كذلك كان حال سيدنا معاوية رضي الله عنه، لم يقدم نفسه كخليفة راشد، إلا أن جميع الرعايا في نظام حكمه استراحوا واطمأنوا، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

لكل من الصحابة وأهل البيت مكانة ودرجة، وتوجد بينهم عظمة واحترام بعضهم بعضاً، وقد جمع أهل السنة والجماعة بين

حب الصحابة وأهل البيت، وأدوا واجباتهما، فمن ترك منهم طريق الاعتدال مال إلى الناصبية والخوارج أو إلى الرفض والشيعة، وانحرف عن الصراط المستقيم. وتظهر أمثال هذه الأمور حيناً لآخر في مختلف المناسبات، فلا بد لهم من التواصي بالحق.

وقد وفق الله تعالى العزيز السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي(سلمه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه وبارك فيه) للأعمال العلمية والدينية المتنوعة، فصدر من قلمه عدد من مؤلفات مفيدة، ومن بينها هذا الكتيب النافع المؤثر حول عظمة الصحابة الكرام ومكانتهم، كتبه كمقدمة لكتاب تاريخ الإصلاح والدعوة (الجزء الثاني وهو جزء خاص بمكانة الصحابة الكرام) للأستاذ محمود حسن الحسني الندوي، ونظراً إلى الحاجة الدينية ينشر الآن ككتاب مستقل. تقبله الله قبولا عاما، ونفع به الأمة.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

كتبها

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

١٤٤١/٣/٨هـ

٢٠١٩/١١/٦م

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا الكتيب الذي هو بين أيديكم أعددته كتقديم على مؤلَّف قيِّم حول سيرة الصحابة الكرام رضى الله عنهم باللغة الأردية، وكانت هذه الكلمة قد اشتملت على جوانب مختلفة، ونواح متنوعة لمكانة الصحابة رضى الله عنهم، فأفردت بعض المؤسسات العلمية والدينية طباعتها فى صورة كتيِّب، ونال هذا الكتيب قبولا عاما بين الأوساط العلمية والدينية، ونفدت طبعته الأولى فى أقصر مدة، ولم يكن ذلك إلا من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم —

الصحابة الكرام رضى الله عنهم هم الجماعة المختارة الذين صحبوا النبى صلى الله عليه وسلم، ورافقوه مؤمنين به، وماتوا عليه، فهم الرعيل الأول، وطليعة الأجيال التى حملت لواء الإسلام في أرجاء المعمورة، فإنهم تربوا على يدي النبى صلى الله عليه وسلم، وأخذوا من مشكاة النبوة جميع ما يحتاجون اليه فى حياتهم، واقتبسوا من نوره العلوم والمعارف، وأضاءوا بها

ظلمات البر والبحر، وقد ذكرهم الله تعالى فى القرآن الكريم بكلمات المدح والثناء، كما ورد ذكرهم في التوراة والإنجيل، فما رأت الدنيا بعد الأنبياء والمرسلين أحسن ولا أجمل منهم سيرةً وخلقاً، ولن ترى الى يوم القيامة.

إن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بشر الصحابة الكرام رضى الله عنهم بالجنة بوحى من الله، وقد بشرهم الله تعالى بأنه رضى عنهم ورضوا عنه، وجعل إيمانهم معياراً لإيمان الناس، ومقياساً لدينهم وشريعتهم، ولا شك أن الصحابة رضى الله عنهم يوجد بينهم مراتب ودرجات، فآمن بعض منهم قبل الفتح، و بعض منهم آمنوا بعد الفتح، ولكن الله وعد كلاً منهم الحسنى، ولهم الدرجات العلى والمنازل الرفيعة في جنات الفردوس، فالإيمان بالصحابة من أساسيات عقيدتنا، فإذا كان هناك رجل ينقص من شأن الصحابة عنهم، ويتبع غير سبيل المؤمنين (الصحابة)، فلا شك أنه يهدم أساس الدين، وقال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: " ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به فى قوله تعالى: والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك غفور رحيم، وطاعة النبى صلى الله عليه وسلم في قوله: لا تسبوا أصحابى، فوالذي نفسى بيده ! لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه، ويقبلون ما جاء به

الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم "، فهذه هى دعائم عقيدتنا نحو الصحابة الكرام رضى الله عنهم، فقد نشأت في العصر الراهن فئة خاطئة، تضعف ثقة الشباب المسلم بالصحابة الكرام رضى الله عنهم، وتقول إما قولاً وإما عملاً: إنهم ليسوا بحجة، وليسوا بعدول، نعوذ بالله من ذلك. فدحراً لهذه الفتنة العمياء، والفكرة الهدامة أردنا أن ننشر هذا الكتيب، ليكون عوناً على معرفة مكانة الصحابة رضى الله عنهم وحجيتهم في الشريعة الاسلامية - وكان الكتيب باللغة الأردية، فنقله الى العربية أحد المتخرجين من دار العلوم لندوة العلماء (الأخ محمد ثاقب الندوى) تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي (مدير تحرير مجلة البعث الإسلامى، ندوة العلماء)، فنشكره على هذا العمل، وندعو له، كما أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتيب نافعاً للجيل الناشئ، ويتقبل قبولاً حسناً. ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

بلال عبد الحى الحسنى الندوي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

٠٢ /٠٣/ ١٤٤٥ هـ -١٨/٠٩/ ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الصحابة ﷺ
في ضوء الكتاب والسنة

اعتراف العلماء بفضلهم:

الصحابة الكرام جماعة ذات قدسية واحترام، اختارهم الله تبارك وتعالى لصحبة نبيه الأخير محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الأمة، فقد لعن علماء الأمة من استهدفهم للإهانة والتنقيص.

يقول الميموني رحمه الله: سمعت أحمد يقول: ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسن! إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام[1]، يقول الإمام أبو زرعة أستاذ الإمام مسلم:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا

---

[1] الصارم المسلول على شاتم الرسول للإمام ابن تيمية: ٥٦٨.

شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[١]:
سأل الشيخ إبراهيم بن سعيد الجوهري رحمه الله الشيخ أبا أسامة رحمه الله: هل معاوية رضي الله عنه أفضل أم عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال: لا نعدل بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحداً[٢] يقول الإمام الذهبي رحمه الله: من طعن فيهم أوسبّهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنائه عليهم وفضائله ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته[٣]
وأضاف قائلاً: من ذم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه إليهم كان منافقاً، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحُبّ ما جاء به، وحب من يأخذه بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم[٤]، ويقول القاضي عياض شارح صحيح مسلم: ومن

---

[١] الكفاية في علم الرواية: ١/٤٩.
[٢] الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: ٤٠٥.
[٣] الكبائر للذهبي: ١/٢٣٦.
[٤] الكبائر للذهبي: ١/٢٣٦.

توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم[١]، ويقول ابن حزم رحمه الله: "وأما الصحابة رضي الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض[٢]، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرةً في عمره أفضل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل[٣]:

بعثة مقرونة:

وكان الله قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليزكي الأمة ويعلمها الكتاب والحكمة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول معلم، فالصحابة رضي الله عنهم أول وسيلة لنقل هذا التعليم النبوي إلى الأمة الإسلامية، وهم قد تلقوا هذا التعليم من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبلغوها إلى الأمة.

يقول الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى[٤]، ويقول في موضع آخر: أعظم الأنبياء شأناً من له

---

[١] الشفاء للقاضي عياض: ٢/٥٢.

[٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/١١٧.

[٣] الجامع لأحكام القرآن: ٢/١٧١.

[٤] حجة الله البالغة: ١/٢٥٨.

نوع آخر من البعثة أيضاً، وذلك أن يكون مراد الله تعالى فيه أن يكون سبباً لخروج الناس من الظلمات إلى النور، وأن يكون قومه خير أمة أخرجت للناس، فيكون بعثه يتناول بعثاً آخر، وإلى الأول وقعت الإشارة في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" [الجمعة: ٢]، وإلى الناس في قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" [آل عمران: ١١٠]: وقوله صلى الله عليه وسلم: فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين.

ونبينا صلى الله عليه وسلم استوعب جميع فنون المفهمين واستوعب أتم البعثين، وكان من الأنبياء قبله من يدرك فناً أو فنين"[1]:

مكانة الصحابة:

كما أن النبوة شرف عظيم، ومن عقائد الأمة الإسلامية، وتعتقد الأمة الإسلامية أنه لا ينال هذه المكانة أحد من الملائكة والأولياء، ولا يصل إلى هذه المنزلة المرموقة، فلا يعتبر إيمان أحد من المؤمنين حتى يؤمن بنبوة الأنبياء.

كما قال الله تبارك وتعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ" [البقرة: ٢٨٥].

مراتب متفاوتة:

قال الله تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ

---

[1] حجة الله البالغة، ص: ٨٤.

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" [البقرة: ٢٥٣] فلا مكانة بعد النبوة ولا رتبة أعلى وأشرف من مرتبة الصحابة رضي الله عنهم، لا يصل إليها ولي من الأولياء، كلهم أقل مكانة من النبوة، صرح جميع المفسرين أن كلمة (والذين معه) قد وردت بمعناها العام، والمراد بضمير الجمع كل صحابي سواءاً كانت مجالسته طويلة أو قصيرة، كما جاء في القرآن المجيد: "ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" [الفتح: ٢٩].

قال أبو عروة الزبيري رحمه الله: كنا عند مالك فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ" [الفتح: ٢٩] فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية: (حلية الأولياء: ٦/٣٢٧) وقد ذكر الله تبارك وتعالى المهاجرين والأنصار في آية كريمة فرداً فرداً، قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" [الأنفال: ٧٢].

الصحابة في القرآن المجيد:

منزلة الصحابة الكرام في مواضع مختلفة وأيضاً في آخر آية من سورة الفتح بعد (محمد رسول الله) اتصالاً بها "وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" [الفتح: ٢٩] وذكر جل شانه ذكر من شهد في بيعة الرضوان تحت الشجرة في آية خاصة: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا" [الفتح: ١٨] وفي سورة الحجرات: "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" [الحجرات: ٧]، وهذه الآية الكريمة قد كشفت الأمر: "وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا" [الفتح: ٢٦] وقد أكرم هؤلاء بلقب رضي الله عنهم ورضوا عنه: "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" [التوبة: ١٠٠] وفي هذه الآية الكريمة شهادة على أن الصحابة البررة الكرام فارقوا الحياة وكانوا مؤمنين بالله حقاً، يقول شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية رحمه الله: الرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً[1]:

الصحابة الكرام في الحديث النبوي:

وقد أبدى الرسول صلى الله عليه وسلم حبه للصحابة رضي الله عنهم في مناسبات مختلفة فقال: الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن

---

[1] الصارم المسلول: ١/٥٧٤.

أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه[١]: وقال أيضاً: لعن الله من سبَّ أصحابي[٢]: وقال في موضع آخر: من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٣]: وقد اعتبر القرن الأول خير القرون، وهؤلاء هم الصحابة الذين اصطفاهم الله تبارك وتعالى لمعية نبيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٤]: وورد في سنن الترمذي: إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم[٥]، وهذه حقيقة واضحة أن من سب الصحابة وأطال اللسان فيهم فهو ملعون عند الله تعالى، وقد ورد في الحديث الشريف: النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون[٦]: وقال الإمام النووي رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم: النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد: قال العلماء:

---

[١] سنن الترمذي: ٤٢٣٦، مسند أحمد: ٢٠٥٤٩.

[٢] المعجم الكبير للطبراني: ٤٧٧١.

[٣] المعجم الكبير للطبراني: ١٢٧٠٩.

[٤] صحيح مسلم، باب فضل الصحابة: ٦٤١٩.

[٥] سنن الترمذي: ٤٢٤٠.

[٦] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة: ٦٦٢٩.

الأمنة بفتح الهمزة والميم، والأمن والأمان بمعنى واحد، ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت: وقوله صلى الله عليه وسلم وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون: أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك، وقوله صلى الله عليه وسلم: وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون: معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم[1]، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن فتن ناشئة في الأمة الإسلامية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فقال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار غير واحدة، قال الصحابة: أي منها على الحق يا رسول الله؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابي، وجاء في حديث آخر: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا[2]، وفي الحديث دلالة واضحة على أن لا يحل لأحد أن يصفهم بالطعن، فإمساك اللسان عما شجر بينهم من خلافات لازم وواجب، كما أنه صلى الله عليه

---

[1] شرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم.

[2] المعجم الكبير للطبراني: ٩٦/٢.

وسلم جعل الصحابة ميزان الحق وقدوةً لسائر الإنسانية إلى يوم القيامة، وذلك أجمع عليه علماء الأمة، كما قال ابن الصلاح: للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسئل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ عنه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة، قال الله تبارك وتعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ إلخ" [آل عمران: ١١٠]، قيل: اتفق المفسرون على أنه وارد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، وقال الإمام النووي رحمه الله: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع[٢].

شهادة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

وهذا سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الخامسة بعد الخلفاء الراشدين المهديين يكتب في رسالة إلى الأمة المحمدية يلقن فيها أحسن تلقين في الصحابة الكرام، وهو جدير بأن يكتب بماء من الذهب لا بل بدم القلب، ويقول: فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفواً ولهم على كشف الأمور، كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم إنما حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا

---

[١] مقدمة ابن الصلاح: ١١٩.

[٢] تدريب الراوي: ٢/٢١٤.

منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم[١].

تعريف الصحابة:

تعريف الصحابة عند الجمهور أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات مؤمناً فهو صحابي، وإن لم يصل صلاة، كذلك كل من جلس في مجلسه ولكن لم يره بأي سبب، وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن رآه برؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى[٢].

إيمان الصحابة الكرام وورعهم:

كما لا يقارن بين أعمال الأنبياء وغيرهم، كذلك لا يقاس عمل صحابي بعمل من لم ينل هذه السعادة العظمى، هنا فالفارق الأساسي الوزن والكيفية لا الكمية والكثرة، فإن الكيفية لها علاقة بالإيمان ولم يدرك الصحابة رضي الله عنهم حقيقة الإيمان إلا بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يدركه غيرهم، فأقل عمل بعد هذا الإيمان الراسخ لا تساويه أعمال جليلة أخرى في القرون الآتية، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا

---

[١] سنن أبي داود: ٤٦١٤.

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/١.

أصحابي، فوالذي نفسي بيده ! لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[١]، ومن الجدير بالذكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن ينسب أحد من أصحابه كلمة نابيةً إلى غيره من السابقين الأولين، فضلاً أن يطعن فيهم: يقول القاضي عياض شارح صحيح مسلم ضمن هذا الحديث: أجرهم مضاعف لمكانهم من الصحبة هذا ما يقتضي من تفضيلهم على من سواهم بتضعيف أجورهم، وقال أيضاً قائلاً: فإن فضيلة الصحبة واللقاء ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا ينال درجتها شيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٢].

ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[٣] كما ألحق الله تبارك وتعالى بالصحابة رضي

---

[١] صحيح مسلم وكتاب فضائل الصحابة: ٢٥٤١، وصحيح البخاري: ٣٦٧٣.

[٢] إكمال المعلم: ٥٨٠/٧.

[٣] صحيح البخاري: ٥٠٦٣.

الله عنهم كلمة التقوى، ولو قصرت أعمالهم، ولكن إيمانهم وورعهم أرفع وأجل، فقال الله تبارك وتعالى: "وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا" [الفتح: ٢٦].

من هم الصحابة؟

لا تتعجبوا مما ذكرنا من مكانة الصحابة ودرجاتهم العالية فإنما هي الجماعة التي اختارها الله تبارك وتعالى لصحبة نبيه، وهؤلاء هم تلاميذه قد جعلهم الله معلمين لسائر الأمة، وقد وصل الدين والقرآن إلى الأمة الإسلامية بواسطة الصحابة رضي الله عنهم، وورد في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا مسيئاً فهو عند الله سيئ[1] وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله حديثاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في فضل الصحابة، وهو من أروع ما وصف به الصحابة الكرام ولم يسطر قلم الكتاب والمؤلفين وصفاً في فضلهم أحسن من هذا، قال: من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله بصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعترفوا لهم

---

[1] مسند الإمام أحمد بسند حسن: ٣٦٦٧.

فضلهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[١]، وبالجملة أن الصحابة الكرام معجزة من معجزات النبوة، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان وأخبار الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخلائق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معاداً، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين[٢] وما أصدق قول الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله.

"أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله، الخائف من عقاب الله، الخاشع الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، المستهين بالمادة، المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يؤمن بأن الدنيا خلقت له، وأنه خلق للآخرة، فإذا كان هذا الفرد تاجراً فهو التاجر الصدوق الأمين، وإذا كان فقيراً فهو الرجل الشريف الكادح، وإذا كان عاملاً فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنياً فهو الغني السخي المواسي، وإذا كان قاضياً فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان والياً فهو الوالي

---

[١] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ١٨١.

[٢] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٢٨٦/٦.

المخلص الأمين، وإذا كان سيداً رئيساً فهو الرئيس المتواضع الرحيم، وإذا كان خادماً أو أجيراً فهو الرجل القوي الأمين، وإذا كان أميناً للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم"[1]، يقول الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى أيضاً في أسلوبه البليغ: ولكن أعز مأثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية من بين مآثر النبوة، هي المأثرة الكبرى التي قام بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سجل التاريخ مآثره النبوية في تفصيل لا يوجد له نظير في غيره من الأنبياء، فإن التوفيق الذي أكرمه الله به في مجال تربية الإنسان وصياغته، إنما تفرد به من بين الأنبياء والمرسلين فضلاً عن المعلمين والمربين، إن المستوى الذي بدأ منه النبي صلى الله عليه وسلم عمله في بناء الإنسانية لم يعهده أي نبي أو مصلح أو مرب، فقد كان ذلك آخر مستوى التدني والإسفاف في المعاني الإنسانية الكريمة، تنتهي فيه حدود الحيوانية وتبدأ منه حدود الإنسانية، وكذلك فإن المستوى الأعلى الذي بلغ إليه النبي صلى الله عليه وسلم في عمل البناء للإنسانية لم يكن للإنسان عهد به في أي عصر ولا جيل، فإذا كان النبي بدأ عمله من المستوى الأخير السافل للإنسانية، فإنه قد بلغ إلى أرفع قيمة للإنسانية وأعلاها، وكل فرد من أفراد الجيل الذي أعده الرسول الكريم كان نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرة وشرفاً للنوع الإنساني، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي

---

[1] الطريق إلى المدينة: ٥٥.

الواسع، بل في الكون كله، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، إن إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الساذجة، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم وتذوقهم للعبادة وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال لما عدا ذلك أن يكون خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية وواقع معلوم لا مجال فيه للشك، إن جماعة الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانت مجموعة إنسانية تتميز بصفات إنسانية متناقضة، بفضل إعجاز النبوة، وقد عبر عن ذلك شاعر الإسلام محمد إقبال بما معناه؛ إن المؤمن عبد لله، أصله من تراب، وفطرته من نور، تخلق بأخلاق الله، واستغنى عن العالمين، آماله ومطامعه قليلة، وأهدافه ومطامحه رفيعة جليلة، وكسي المهابة والجمال، رقيق رفيق في الحديث، قوي نشيط في الكفاح، نزيه بريء في السلم والحرب، إن إيمانه هو نقطة الدائرة التي يدور حولها العالم، وكل ما عداه وهم طلسم ومجاز، إن

الغاية التي يصل إليها العقل، ولب لباب الإيمان والحب، وبه نالت هذه الحياة بهجتها وقوتها"[١].

وبينهم مراتب متفاوتة:

وبين الصحابة رضي الله عنهم مراتب ومنازل متفاوتة، كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف، قال الله تعالى: "لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا" [الحديد: ١٠]، وقال: "وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى" [الحديد: ١٠] وورد ذكرهم في آية أخرى حسب اختلاف المراتب: "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" [التوبة: ١٠٠] فهذه الآية الكريمة بشرى عظيمة لهم من العليم الخبير بما كان وما يكون.

لاشك أن مراتب الصحابة الكرام متفاوتة، وأن أفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويتضح في ضوء بعض الروايات أن أعمال أبي بكر لو وزنت بأعمال سائر الأمة لرجحت كفته، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[٢]: ثم أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ثم من آمن

---

[١] صورتان متضادتان: ٢١ -٢٣.

[٢] سنن أبي داؤد: ٤٦٠٩.

بالله وبرسوله خلال صلح الحديبية، ثم من شرحه الله صدره للإسلام في فتح مكة، أن علي رضي الله عنه أعلى وأرفع من معاوية رضي الله عنه، كان الشيخ عبد الشكور الفاروقي رحمه الله تعالى يقول: لو وجد معاوية رضي الله عنه في مخلع نعلي علي رضي الله عنه لكان ذلك فخراً وابتهاجاً له، على الرغم من ذلك فهم نماذج للأمة الإسلامية، وهم أسمى وأرفع من كبار الأولياء.

ميزاتهم وخصائصهم:

لا تقاس أعمالهم ومنازلهم بمن ليسوا صحابةً، وقد بلغ بهم الإيمان الذي تلقوه بأدنى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكانة عالية، حتى كشفها القرآن الكريم في أمكنة كثيرة، وقد صفح الله عن خطاياهم، ورد في الحديث الشريف، عن علي رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين (لنلقين) الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به (بها) رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم بعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا حاطب! ما هذا؟ قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجل على، إني

كنت أمراً ملصقاً في قريش، ولم أكن في أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت (وفعلته) كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد (لقد) صدقكم، قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعلموا ما شئتم، قد غفرت لكم[1]: وهكذا قصة الإفك حينما قذف المنافقون بأم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها فوقع بعض الصحابة في القول فيها، فعاتبهم الله تبارك وتعالى عتاباً شديداً، ثم بشرهم بنعم الدنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالى: "وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [النور: ١٤] وضحت هذه الآية الكريمة أن الله قد فضل عليهم وأنه قد عفا عن خطاياهم ولأن من أطلق لسانه عليهم فوباله عليه.

كان أخي الأكبر الأستاذ السيد عبد الله الحسني الندوي رحمه الله تعالى يقول: لا شك أن الصحابة كانوا من جنس البشر، فكان ارتكاب المعاصي ممكناً منهم أيضاً، بل لابد لتكميل الأسوة الكاملة أن تصدر منهم المعاصي، ثم تكون التوبة النصوح والتضرع إلى الله، ومن ارتكب منهم الذنوب ثم ندموا وتأسفوا

---

[1] صحيح البخاري: ٣٠٠٧.

عليه، كان ذلك ميزة لهم وهناك قصص كثيرة في الأحاديث الشريفة، نذكر واحداً منها:

عن بريدة قال جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ! طهرني فقال: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيم أطهرك قال: من الزنا، قال رسول الله صلى الله عيله وسلم: أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: أ شرب خمراً، فقام رجل فاستنتكهه فلم يجد منه ريح خمر فقال: أ زنيت قال: نعم فأمر به فرجم فبثوا اليومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: استغفروا لماعز بن مالك، لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم ثم جاءته امرأة من الازد فقالت: يا رسول الله طهرني فقال: ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت: تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك أنها حبلى من الزنا فقال: أنت؟ قالت: نعم قال لها حتى تضعي ما في بطنك قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد وضعت الغامدية فقال إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله قال فرجمها وفي رواية إنه قال لها اذهبي حتى تلدي فلما ولدت قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة

خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنصح الدم على وجه خالد فسبها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا خالد ! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[1].

الصحابة الكرام وراء الجرح والتعديل:

فإن قال قائل: فكيف جرحت من بعد الصحابة وأبيت ذلك في الصحابة؟ والسهو والخطأ موجودَانِ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟ يقال له: إن الله تبارك وتعالى نزه أقدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلب قادح، وصان أقدارهم عن وقيعة منتقص وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم وقد قال الله تبارك وتعالى: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ" [آل عمران: ٦٨]، ثم قال: "يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ" [التحريم: ٨] فمن أخبر الله عز وجل أنه لا يخزيه في القيامة وقد شهد له باتباعه ملة إبراهيم حنيفاً لا يجوز أن يجرح بالكذب، لأنه يستحيل أن يقول الله تبارك وتعالى "يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ" [التحريم: ٨] ثم يقول النبي صلى الله عليه وسلم "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" فيطلق

---

[1] مشكوة المصابيح: ٣٣٩٩/٢.

النبي صلى الله عليه وسلم إيجاب النار لمن أخبر الله عز وجل أنه لا يخزيه في القيامة بل الخطاب في الخبر وقع على من بعد الصحابة وأما من شهد التنزيل وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فالثلب لهم غير حلال والقدح فيهم ضد الإيمان، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم من "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى" [النجم: ٣ -٤] صلى الله عليه وسلم، وأن من تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيداعهم ما ولاه الله بيانه للناس أن لا يجرح، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزوا الشهادة، ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه، لأنه لو كان كذلك لكان فيه قدحاً في الرسالة، وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً، وأن من بعد الصحابة ليسوا كذلك، لأن الصحابي إذا أدى إلى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ إليه منافقاً أو مبتدعاً ضالاً لا ينقص من الخبر أو يزيد فيه ليضل به العالم من الناس، فمن أجله ما فرقنا بينهم وبين الصحابة، إذ صان الله عز وجل أقدار الصحابة عن البدع والضلال، جمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته بمنه[1].

خلاصة القول:

وبالجملة فإن لفظ الصحابي هو مقدس وضعاً، ولم تجرح

---

[1] كتاب المجروحين من الحديث لابن حبان ١/ ٣٥ -٣٦.

قدسيته مدة أربعة عشر قرناً، ولا يدخل في هذا الاصطلاح إلا من اصطفاهم الله بالإيمان وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين محصهم الله تمحيصاً، كقوله تعالى "وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ" [العنكبوت: ١١]، فكأن الله قد ميّز بهذه الآية الكريمة بين المنافقين والكافرين وبين المسلمين، بعد ابتلاء المسلمين ابتلاء شديداً في العهد الإسلامي الأول، لذلك لا يعد منافق مؤمناً ولا مؤمن منافقاً، في أي حال من الأحوال بعد هذا التمحيص.

المحتويات

المقدمة	٥
بين يدى الكتاب	١٧
مكانة الصحابة ﷺ في ضوء الكتاب والسنة	٢١
اعتراف العلماء بفضلهم	٢١
بعثة مقرونة	٢٣
مكانة الصحابة	٢٤
مراتب متفاوتة	٢٤
الصحابة في القرآن المجيد	٢٥
الصحابة الكرام في الحديث النبوي	٢٦
شهادة عمر بن عبد العزيز رحمه الله	٢٩
تعريف الصحابة	٣٠
إيمان الصحابة الكرام وورعهم	٣٠
من هم الصحابة؟	٣٢
وبينهم مراتب متفاوتة	٣٦
ميزاتهم وخصائصهم	٣٧

الصحابة الكرام وراء الجرح والتعديل ٤٠
خلاصة القول ٤١
المحتويات ٤٣